لكن ما علاقة بني لحيان بمن هلك من طواغيت قريش على أرض بدر؟..

أحد الصحابة يجيب ويسرد علينا قصة عاصم قائد هذه السرية وأصحابه، فيقول: (بعث النبي ﷺ «عشرة رهط» عيناً، وأمَّر عليهم (عاصم بن ثابت)...[1] فانطلقوا حتى كانوا «بالهدأة» بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزوّدوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما «رآهم» عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد[2]، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً.

فقال عاصم «أمير السرية»: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللّهمّ أخبر عنا نبيّك. فقاتلوهم حتى قتل عاصماً في سبعة نفر بالنبل[3]، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما رضي الله عنه: هذا أول الغدر.

فأبى أن يصحبهم، فجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد، حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فمكث «خبيب» عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله[4] استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها[5]، فأعارته.

قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه[6] حتى أتاه فوضعه في فخذه. فلما رأيته فزعت فزعةً عرف ذلك مني وفي يده الموسى. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) مكان النقاط جملة اعتراضية هي (وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب).
(٢) الرابية المرتفعة.
(٣) أي قتلوا سبعة من الصحابة أحدهم عاصم رضي الله عنهم جميعاً.
(٤) قرروا قتله ثأراً لقتله والدهم الحارث.
(٥) طلب موسى ليحلق بعض شعره.
(٦) مشى الطفل حتى دخل على خبيب والموسى بيده.

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قطّ خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف[1] عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله «خبيباً».

فخرجـوا به من الحرم[2] ليقتلوه «في الحل»، فقال رضي الله عنه: دعوني أصلي ركعتـين «ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركـع ركعتين» ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن «تظنـوا» أن مـا بي جزع من الموت لزدت «لطوّلتها»، فكان أوّل من سـن الركعتين عند القتل هو.

ثم قال: اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. ثم أنشأ يقول:

فلسـت أبالـي حـين أقتل مسـلماً ... علـى أي شـقّ كان للـه مصرعـي
وذلـك فـي ذات الإلـه وإن يشـأ ... يبـارك علـى أوصـال شـلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله[3].

لكـن عقبة بن الحارث ينكر ذلك ويقول لمـن حوله: (والله ما أنا قتلت خبيباً، لأنا كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله)[4].

ويكمل الصحابي حديثه فيقول: (وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونـه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يـوم بدرٍ، فبعث الله عليه مثل الظلّة من الدبر[5]، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا «على أن يقطعوا من لحمه شيئاً»)[6] فكانت كرامـة من الله لعاصم رضي الله عنه، حيث حمى الله جسـده الطاهر بسـحابة من الزنابير أو ذكور النحل.

---

(١) القطف هو العنقود ساعة قطفه.
(٢) كان المشركون يحترمون منطقة الحرم لذلك خرجوا به إلى منطقة الحل.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٨٦) والزيادات عنده أيضاً.
(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق (سيرة ابن كثير - ٣/١٣١) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث. عباد تابعي ثقة من رجال الشـيخين، التقريب ٢٩٠ وابنه يحيى ثقة وهو تابعي صغير ٥٩٢.
(٥) أي سحابة من الزنابير أو ذكور النحل.
(٦) هو بقية حديث البخاري السابق.

هكذا سافر خبيب وعاصم وزيد ورفاقهم شهداءً إلى ربهم، لكنها بالنسبة للنبي ﷺ وأصحابه الأحياء مصيبة أخرى بعد أُحُد.. خيانة قام بها هؤلاء المشركون فكلفت المؤمنين الكثير.. خيانة ليست من طباع العرب الكريمة.. تأثر منها المؤمنون، واستفادت منها قريش، وحزّت في أنفس الشرفاء من العرب.. خاصة أولئك الذين كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، وهم بنو عامر، لذلك جاءت مجموعة منهم بقيادة رجل اسمه: (عامر بن مالك، أبو البراء) ويلقب بـ«ملاعب الأسنة»..

قدم ملاعب الأسنة من أجل تلطيف الأجواء.. حاملاً معه هدية للرسول ﷺ، لكن النبي ﷺ كان في حالة حزن على أصحابه، فعرض الإسلام على ملاعب الأسنة، ودعاه إلى الدخول في دين الله، فرفض ﷺ هديته لأنه مشرك، فحاول ملاعب الأسنة أن يخفّف عن النبي ﷺ بعض ما في صدره من حزن على أصحابه، فعرض عليه أن يرسل بعض الصحابة لنشر الإسلام في نجد، وتعهّد بحمايتهم والدفاع عنهم، حتى يطمئن النبي ﷺ أنه لن يصيبهم ما أصاب خبيباً وأصحابه.. ومما دفع النبي ﷺ إلى الموافقة أن رجالاً من أحياء: رعل وذكوان وعصية كانوا قد قدموا مع «ملاعب الأسنة» وتظاهروا بالإسلام أيضاً، وادّعوا أنهم بحاجة إلى مجموعة من الصحابة تعلّمهم القرآن والتوحيد، بل وتعينهم على أعدائهم.

استجاب ﷺ واثقاً بعهد ملاعب الأسنة، ومصدّقاً أولئك الذين أظهروا الإسلام، وبعث معهم شباباً من الأنصار، ها هو أحدهم يودع أخته (أم سليم) إنه خال أنس بن مالك واسمه (حرام) وهؤلاء الشباب الذين مع (حرام) هم صفوة من تلاميذ محمد ﷺ.. شباب لا تعرف كيف تصفهم! هل هم عباد، أم تجار، أم علماء، أم عمّال..؟ إنهم الإسلام في صورة شباب.

يقول كعب وأنس رضي الله عنهما: (جاء ملاعب الأسنة إلى النبي ﷺ بهدية، فعرض عليه الإسلام، فأبى أن يسلم، فقال النبي ﷺ: فإني لا أقبل هدية مشرك. قال: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جارٍ، فبعث إليهم)[1] شباباً (كنّا ندعوهم على عهد رسول الله ﷺ: القرّاء، فذكر أنس سبعين رجلاً من الأنصار، كانوا إذا أجنّهم

---

(١) سنده قوي رواه الطبراني ١٩-٧٠ و٧١ و٨١) عن يونس ومعمر والأوزاعي عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن كعب. وهذا السند صحيح وقد مر معنا.

الليل آووا إلى معلم بالمدينة، فيبيتون يدرسون، فإذا أصبحوا فمن كان عنده قوّة أصاب من الحطب، واستعذب من العذب[1]، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكان معلقاً بحجر رسول الله ﷺ، فلما أصيب خبيب)[2] (جاء ناس إلى النبي ﷺ «رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان» فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلّمونا القرآن والسنّة. فبعث «إلى ناس من المشركين بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد» سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم (القرّاء) فيهم خالي حرام:

يقرأون القرآن،

ويتدارسون بالليل يتعلّمون،

وكانوا بالنهار يجيؤون بالماء فيضعونه في المسجد،

ويحتطبون فيبيعونه،

ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء،

فبعثهم النبي ﷺ إليهم «حتى كانوا ببئر معونة»)[3] (فأتوا على حي من بني سليم فقال حرام لأميرهم: دعني فلأخبر هؤلاء أنّا ليس إياهم نريد، فيخلون وجوهنا)[4] (وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل)[5] (فاستجاش عامر بن الطفيل بني عامر، فأبوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة، فاستجاش عليهم بني سليم، فأطاعوه)[6] (فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه: رجل أعرج، ورجل من بني فلان. قال:كونا قريباً مني حتى آتيهم، فإن أمنوني كنتم كذا، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم.

فأتاهم حرام فقال: أتؤمنوني أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ.؟ قالوا: نعم. فجعل يحدّثهم، وأمأوا إلى رجل فأتاه من خلفه، فطعنه، فأنفذه بالرمح «فلما وجد حرام مسّ

---

(١) أي الماء العذب.

(٢) حديث صحيح رواه الشيخان والطبراني (٣٢٣/١) والبيهقي (٣٤٩/٣) واللفظ له.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧ - وبين ١٩٠٢ - ١٩٠٣).

(٤) هو حديث البيهقي السابق وهو صحيح.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١).

(٦) حديث صحيح وهو حديث الطبراني السابق.

obeikandl.com

الرمح في جوفه قال: الله أكبر، فزت وربّ الكعبة»)[1] ولما سال دمه من جرحه اغترفه بيديه ثم (نضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة)[2] (فانطووا عليهم فما بقي منهم مخبرٌ «فلحق الرجل، فقتلوا كلهم إلاّ الأعرج كان في رأس الجبل»)[3] (قتلوهم وغـدروا بهم)[4] (قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا رضي اللـه عنهم: اللّهمّ بلّغ نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا)[5].

فأنزل الله قرآناً يتلى في هؤلاء الشـباب الأطهـار الأبرار، فقال تعالى: ﴿ إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ﴾[6].

نزلـت هذه الآية على النبي ﷺ، فحزن حزناً لم يحـزن مثله أبداً، وخيّم الوجوم علـى المدينة.. على أصحاب النبي ﷺ، وأحرق الدمع والحزن أجواف الأمّهات والآباء والأبناء، وبكى أهل الصفة أرحم الناس بحالهم.. بكى أهل الصفة أحبابهم الذين طالما كدحوا وشقوا ليخفّفوا مما بهم، ليمنحوهم بعض السعادة.. هذا قد منحوه ثوباً، وهذا اشتروا له طعاماً، وذاك أعطوه فراشاً، ورابع قدّموا له غطاءً، وخامس قدموا له حذاءً. فلك أن تتصوّر حجم الفراغ الذي يتركه سبعون بمثل هذا الجمال والحب والسخاء.

أهل المدينة يتذكرونهم عندما يرون تلك القرب التي كانوا يملأونها بالماء لهم على باب المسـجد، فكم من عطشـان فقد تلك السحابة. أمّا النبي ﷺ فتوجّه والحزن في عينيه وقلبه إلى أصحابه، فقال: (إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللّهمّ بلّغ عنّا نبينا أن قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا)[7].

لقد بلغ به الهمّ والحزن مسـافات فعل معها شـيئاً لم يكن قد فعله من قبل. كيف لا، وهو قد فجع بخبيب وعاصم ومن معهما، ثم فجع بسبعين من خيرة الشباب الذين سـافروا من أجل نشر دين ربهم ورسالة نبيّهم، ولا ذنب لهم سوى ذلك.. لقد دعا ﷺ على أولئك المشركين الأنذال شهراً كاملاً في صلواته كلّها.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١ - ٤٠٩٢) والبيهقي (٣٤٥/٣) واللفظ له.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٢).
(٣) حديث صحيح وهو حديث الطبراني السابق والزيادة للبخاري (٤٠٩١).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٠).
(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧).
(٦) هذه الآية منسوخة وهي في البخاري (٤٠٩١).
(٧) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧).

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة إذا قال: سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعو على أحياء من بني سليم: على رعل، وذكوان، وعصية «وبني لحيان» ويؤمِّن من خلفه)[1]، ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (وذلك بدء القنوت وما كنّا نقنت)[2].

واستجاب الله لنبيّه ﷺ، فأصيب الطاغية عامر بن الطفيل.. أصيب بمرض عضال وصفه ﷺ بقوله: (غدة كغدة البعير[3]، وسماه ﷺ بـ«الطاعون»، وهو وصف دقيق للطاعون الدبلي الذي يتميز (بارتفاع درجة الحرارة، وتضخم العقد الليمفية في منطقة الإرب وتحت الإبط، وكذا تضخم الطحال)[4]، وهو ما أصيب به عامر بن الطفيل، حتى أصبح حبيساً في بيت امرأة من قومه.

أصيب عامر بالطاعون، وتلاشت أحلامه بالتملّك على أهل المدن في الجزيرة العربية، أو خلافة النبي ﷺ، أما تلك الجيوش التي هدّد النبي ﷺ بها، فقد تحوّلت إلى آلام تحبسه في بيت امرأة.. قد ولّى عنه الناس ونفروا منه خشية العدوى، ففقد صوابه وصرخ بمن بقي حوله قائلاً: (غدة كغد البكر في بيت امرأة من بني فلان، ائتوني بفرسي، فركبه فمات على ظهر فرسه)[5].

هلك ذلك الطاغية كالمجنون، بعد أن تطاير الناس من حوله متقزّزين، أما النبي ﷺ فبعد أن مكث شهراً يدعو على عامر والخَوَنة الذين غدروا بالمؤمنين.. قرّر ﷺ أن يغزو بني لحيان وبني سليم: رعل وذكوان وعصية، فأعدّ جيشاً ليتحرك نحوهم، وكان أحد

---

(١) سنده جيد رواه أحمد ١-٣٠١ وأبو داود (١٤٤٣) من طريق عبد الله بن معاوية وعبد الصمد وعفان، حدثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس وثابت وشيخه ثقة تغير ولعله وهم في ذكره لصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والذي عند البخاري من رواية أنس وهو الذي روى القصة وعاصرها وصلى مع النبي عليه السلام تلك الصلوات لم يذكر سوى الفجر، و«بني لحيان» عند البخاري.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٨٨).

(٣) سنده صحيح رواه أحمد ٦-١٤٥ من طرق أخبرنا جعفر بن كيسان حدثتنا معاذة بنت عبد الله دخلت على عائشة.معاذة تابعة ثقة، التقريب وجعفر ثقة. ذيل الكاشف (٦٢).

(٤) انظر تعليق فضيلة الدكتور: قلعجي على الدلائل (٣/٣٤٦).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١٠٩١) والبيهقي واللفظ له (٣/٣٤٦).

الصحابة يريد صحبته، لكنه في حيرة من أمره، فامرأته ثقيلة، وهو يريد البقاء معها، ويريد مصاحبة النبي ﷺ، وهي كذلك.. كانت تصاحب النبي ﷺ في كل غزوة، لكن حالتها هذه المرة لا تساعدها على المسير، فـ:

ما الذي حدث لأم سليم رضي الله عنها

يقول ابنها البار أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج معه إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل)[1] (فضربها المخاض واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق النبي ﷺ، فقال أبو طلحة: يا رب، إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد، فانطلقا)[2].

انطلق النبي وأصحابه إلى تلك الأرض التي غُدِرَ فيها بأولئك الشباب الأطهار.. انطلق ﷺ بجيشه جنوباً إلى تلك الأرض التي تقع بين عسفان ومكّة، فما الذي حدث في:

غزوة بني لحيان

يبدو أن بني سليم (رعل وذكوان وعصية) وكذلك لحيان قد علموا بقدوم النبي ﷺ، وأدركوا فداحة جرمهم وشناعة خيانتهم للعهد، وانتهاكهم لحقوق جارهم ملاعب الأسنة، ورأوا بأعينهم ما حدث لذلك الشيطان الذي عبث بعقولهم من عقاب إلهي، وأدركوا بركان الغضب الإسلامي الزاحف نحوهم، فهربوا، وهم يحتاجون إلى من يجرّهم من جحورهم فرداً فرداً، والنبي ﷺ وجيشه ليس لديهم وقت لهذا، فالعودة إلى المدينة أنسب في الوقت الحاضر، لكن لابدّ من التخطيط للقضاء على مصادر الشرّ والجريمة المحيطة بالمدينة.. لابدّ من تأديب من يتآمرون على الإسلام والمسلمين، فالنبي ﷺ جاء للأرض كلّها.. جاء بالسلام والعلم للعالم أجمع، ولا يجوز حرمان العالم من هذه الرسالة الإلهية بسبب مجرم أو مجرمين من المشركين أو من اليهود.

عاد ﷺ إلى المدينة، وبعد عودته كان بانتظاره وانتظار صاحبه أبي طلحة خبر سعيد:

---

(١) سنده صحيح رواه الطيالسي ٢-١٦٠ وقد مر معنا عند الحديث عن الانتفاع بالخمر.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (٢١٤٤) وأحمد ٣-١٩٦.

أم سليم تلد طفلاً

(أخذهـا الطلق ليلة قربهم مـن المدينة، فقالت: اللّهمّ إننـي كنت أدخل إذا دخل نبيّك، وأخرج إذا خرج، وقد حضر هذا الأمر فولدت غلاماً)[1]. وكان النبي ﷺ قد قال لأبي طلحة وأنس بن مالك قبل سفره: (إذا ولدت فائتوني بالصبي)[2].

يقـول أنـس: (فقالت لي أمي: يا أنـس «انطلق بالصبي إلى رسـول الله ﷺ» لا يرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ.

فلمـا أصبحت احتملته وانطلقت به إلى رسـول الله ﷺ، فصادفته ومعه ميسـم «وهو يسم إبلاً وغنماً»، فلما رآني قال: لعل أم سليم ولدت؟ قلت: نعم. فوضع الميسم[3]، فجئته به فوضعته في حجر النبي ﷺ، ودعا رسـول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكهـا في فيه حتى ذابت، «فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمظ[4]، فقال ﷺ: انظروا إلى حب الأنصار التمر.

فحنكه رسـول الله ﷺ» فمسـح وجهه، وسـمّاه عبد الله)[5] (وكان يعدّ من خيار المسلمين)[6].

عاد الصغير إلى أمه واسـتجاب الله دعوة نبيّه ﷺ لأم سليم وزوجها عندما مات ابنها الأكبر ففعلت أم سليم ما فعلت تلك الليلة.

سـعيدة هي أم سليم، وسعادتها لا توصف.. سـعيدة بزوجها وابنها، ولا أحد في مثـل فرحها إلاّ امرأة تلد مثلها، وتفرح أكثر منها.. امرأة رزقت بنتاً يتيمة مات والدها قبل ولادتها، ومع ذلك فهي أسعد من أم سليم.. إنها:

---

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن زواج أم سليم. رواه الطيالسي ٢-١٦٠.
(٢) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن زواج أم سليم. رواه الطيالسي ٢-١٦٠.
(٣) آلة أو حديدة يكوى بها الحيوان لتمييزه.
(٤) يذوقه بلسانه.
(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٢١٤٤) وأحمد ٣-١٩٦ والزوائد للطيالسي ٢-١٦٠.
(٦) ليس من كلام أنس بل من كلام التابعي ثابت البناني.

أم سلمة تلد بنتاً

كانت رضي الله عنها في فترة حداد وهي حامل، ولما وضعت ابنتها سمّتها (برة) لكن سعادتها لم تكن في ولادتها فقط، بل بشيء يحملها من عالم إلى عالم آخر يضفي عليها جلالة ومهابة وكرامة وألقاباً.. عالم تكون فيه حبيبة رجل هو حلم كل امرأة، فقد استجاب الله لها كما استجاب لأم سليم، فعند وفاة زوجها أبي سلمة دعت بتلك الدعوات: (اللّهمّ اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى حسنة)[1].

أخبرينا يا أم سلمة ما هي العقبى الحسنة التي وهبك الله وأكرمك بها بعد أن كبرت ابنتك؟

تقول رضي الله عنها: (لما وضعت زينب، جاءني رسول الله ﷺ، فخطبني، فقلت: ما مثلي ينكح؟ أما أنا فلا ولد فيَّ، وأنا غيور ذات عيال!! فقال ﷺ: أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأمّا العيال فإلى الله جلّ ثناؤه ورسوله.

فتزوّجها ﷺ فجعل يأتيها، فيقول: أين زناب)[2] أين زينب؟ سؤال يفيض حياءً وأدباً.. سؤال ينضح بالأحاسيس النبوية المرهفة، لكن من هي زينب؟ وهل هي (برة) هذا ما سنعرفه بعد قليل. فلنعد لرسول الله ﷺ وأم سلمه.

تزوّج ﷺ من أم سلمة، ومع ذلك فهو لا يصل إليها.. لأنه صاحب أسلوب راقٍ ومهذب في التعامل مع الآخرين.. كان ﷺ يستحي أن يفرق بين تلك اليتيمة المسكينة وأمّها ولو لدقائق.. كان ﷺ يحول لحظات الكبت المزعومة إلى أجواء فرح ودعابة يضفيها على تلك اليتيمة «زينب»، وعلى أمّها التي كان يدهشها ويسرّها أن ترى حباً يتسع لها ولأيتامها، وهم أحوج الناس إلى مثل هذا النبي الإنسان المحب.

ومرّت أيام والرسول ﷺ لم يتذمّر ولم يتغيّر في تعامله مع ربيبته وزوجته، لكن الخبر وصل إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه، وهو أخٌ لأم سلمة من أمها «سمية» الشهيدة التي قتلها الطاغية الهالك أبو جهل، فلما علم عمار بحال النبي ﷺ أطلق قدميه نحو بيت أخته أم سلمة، فأخذ ابنة أخته ليسترضعها في بيته، أو عند أحد

---

(١) حديث صحيح مر معنا انظر: صحيح النسائي (١٧٢١) وصحيح ابن ماجه (١٤٤٧).
(٢) انظر: تخريجه في الحديث التالي فهو هو.

النساء.. أخذها عمار و(اختلجها[1]، وقال: هذه تمنع رسول الله ﷺ! وكانت ترضعها، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أين زناب؟ فقالت قريبة ابن أبي أمية - ووافقها عندها[2] - أخذها عمار بن ياسر. فقال رسول الله ﷺ: إني آتيكم الليلة.

قالت: «فقمت» فوضعت ثفالي[3]، وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتي، وأخرجت شحماً فعصدته له، ثم بات، ثم أصبح، وقال حين أصبح: إن بك على أهلك كرامة، فإن شئت سبّعت[4] لك، وإن أسبع لك أسبع لنسائي)[5] (وإن شئت ثلثت ثم درت؟ قالت: ثلّث)[6] فأقام ﷺ ثلاثة أيام عند أم سلمة.. ثلاثة أيام هي أسعد أيامها، ثم قال: (للبكر سبع، وللثيب ثلاث)[7] مدة إقامة المتزوج عند زوجته إذا كان عنده غيرها.

أقام ﷺ عند أم سلمة ثلاثة أيام سعيدة، ثم رتّب لها يوماً كبقية زوجاته، وفي تلك الأيام الثلاثة كان يفيض على أم سلمة وعلى يتيمتها الصغيرة حباً ورحمة.. كان اسم زينب الصغيرة «برة»، فغيره ﷺ إلى اسم آخر هو زينب وذلك حالما سمعه:

تغيير اسم برة بنت أبي سلمة

تقول تلك الطفلة اليتيمة رضي الله عنها إن النبي ﷺ: (دخل على أم سلمة حين تزوجها واسمي (برة)، فسمعها تدعوني برة، فقال: لا تزكوا أنفسكم، فإن الله هو أعلم بالبرة منكن والفاجرة، سميّها (زينب). فقالت أم سلمة: فهي زينب، فقلت لها: اسمي؟

---

(١) أخذها.

(٢) أي: توافق مجيء النبي ﷺ مع زيارة تلك المرأة لأم سلمة.

(٣) هو ما يبسط تحت الرحى عند الطحن.

(٤) أي أقمت عندك سبعة أيام.

(٥) حديث حسن رواه ابن سعد ٨-٩٣ وأحمد ٣-٣٠٧ من طريق: روح بن عبادة وعبد الرزاق حدثنا ابن جريج، أخبرني حبيب بن أبي ثابت، أن عبد الحميد بن عبد الله والقاسم ابن محمد سمعا أبا بكر بن عبد الرحمن أن أم سلمة أخبرته. أبو بكر تابعي ثقة فقيه عابد التقريب ٦٢٣ وعبد الحميد يحتاج إلى توثيق لكن تابعه القاسم وهو مثله في الدرجة انظر: التقريب ٤٥٢ والتهذيب ٦-١١٨ وحبيب ثقة فقيه جليل، وابن جريج لم يدلس. وللحديث شاهد بسند ضعيف عند ابن سعد ٨-٩٠ وأحمد ٦-٣١٣ والحاكم ٤-١٧.

(٦) حديث صحيح رواه مسلم: ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج.

(٧) حديث صحيح. صحيح الجامع (٢/٩١٩).

فقالت: غيّر إلى ما غيّر إليه رسول الله ﷺ)[1].

كان ﷺ يحب الأسماء الجميلة.. ذات يوم علم ﷺ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمّى ابنته «عاصية»، فماذا فعل..؟

يقول أخوها عبد الله: (إن رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية، وقال: أنت جميلة)[2]، فأصبح اسمها جميلة بنت عمر بن الخطاب.. هي جميلة حقاً، وأبوها أجمل منها.

لم يكن ﷺ يغيّر أسماء الأطفال فقط، بل كان للرجال والنساء والعجائز نصيب من ذلك الجمال، فقد (ذكر عند رسول الله ﷺ رجل يقال له: شهاب، فقال رسول الله ﷺ: بل أنت هشام)[3]، و(كان ﷺ إذا أتاه الرجل وله اسم لا يحبه حوّله)[4] إلى اسم أجمل وألطف.

في هذه الأجواء.. أجواء الجمال واللطف والأعراس والأسماء المحبوبة.. تشرق علينا قصة من بيت عائشة الحبيبة، حيث كان النبي ﷺ عندها، والنبي ﷺ إذا كان عند عائشة أو غيرها من زوجاته كان غاية في اللطف والرقّة والتواضع.

بينما كان ﷺ هناك.. جاءت عجوز لا تعرفها عائشة رضي الله عنها، لكنها تحدثنا عنها فتقول: (جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟

قالت: أنا جثامة المزنية.

---

(١) سنده قوي رواه ابن إسحاق ومن طريقه البخاري في الأدب المفرد (٨٢١) : حدثني محمد بن عمرو بن عطاء أنه دخل على زينب بنت أبي سلمة، فسألته عن اسم أخت له عنده، قال: فقلت: اسمها برة قالت: غير اسمها، ثم ذكرت كلاماً وبقية الحديث..

(٢) حديث صحيح رواه مسلم.

(٣) سنده حسن رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٢٥).

(٤) حديث حسن رواه الطبراني ١٧-١١٩ حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وأبو زيد الحوطي، قالا: حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد قال: قال عتبة بن عبد السلمي: «رضي الله عنه» وقد صحح الإمام الألباني سنده في السلسلة (٢٠٩) وهذا الحكم صحيح لولا إشكالية سماع شريح من عتبة فهو كثير الإرسال، حتى لقد قيل لمحمد بن عوف: هل سمع من أبي الدرداء؟ فقال: لا. فقيل: فسمع من أحد من أصحاب النبي؟ قال: ما أظن ذلك، وذلك أنه لا يقول في شيء من ذلك: سمعت. التهذيب (٣٢٨/٤) لكن الحديث حسن بالروايات الأخرى.

فقال: بل أنت حسانة المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

«فقرب إليه لحم، فجعل يناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك». فلما خرجت قلت: يا رسول الله.. تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان)[1].

ما أجمل هذا النبي الوفي.. تطلق وجهه لما رأى تلك العجوز التي كانت تزورهم أيام خديجة، وأضاف إلى جمال وفائه جمالاً آخر عندما غيّر اسمها.. نزع عنها ذلك الاسم الثقيل، الذي جمع في معناه أشياء كثيرة وكريهة، فهو يعني الكابوس والبليد الذي لا ينهض للمكارم، والكسلان الذي يتبرّم بالحركة! غيّره.. استبدله بـ«حسانة» اسم كالابتسامة

كانت في بيت النبوة أفراح وأعراس.. يهفو لمثلها شاب حزين.. يرنو إلى غسل ما بداخله من هموم.. شاب مثقل بالمسؤوليات، لكن الحيرة في اختيار زوجة تشغله، فهو جديد على مثل هذه التجربة، ولديه من الأيتام الكثير.

هل يتزوج فتاة صغيرة في مثل سنّ أخواته.. يقضي معها أيام مرح وسعادة..؟ أم يضحي بسعادته من أجل أخواته المسكينات، ويتزوج امرأة سبق لها أن تزوجت.. سبق لها أن كانت ربّة بيت لتعتني بأخواته الصغيرات وبه أيضاً..؟

سنترك هذا الصحابي ليقرّر، فنحن على عجلة من أمرنا، فالرسول ﷺ قرّر أن يتوجّه إلى أرض نجد.. حيث تعدّ له قبيلة غطفان جيشاً لحربه.

---

(١) سنده قوي رواه الحاكم ١-٦٢ والبيهقي في الشعب ٦-٥١٧ من طريق: الضحاك بن مخلد حدثنا صالح ابن رستم حدثنا ابن أبي مليكة.. وابن أبي مليكة تابعي أدرك ثلاثين صحابياً وهو عبد الله بن عبيد الله ثقة فقيه - التقريب ٣١٢ والضحاك ثقة ثبت التقريب ٢٨٠ أما صالح فحسن الحديث، إذا لم يخالف.. توثيقه قوي وجرحه غير مفسر، قال أبو داود: ثقة، وقال الطيالسي وهو تلميذه: ثقة، وقال البزار: ثقة، وقال ابن وضاح: ثقة وقال ابن عدي: عزيز الحديث روى عنه يحيى القطان مع شدة استقصائه وهو عندي لا بأس به ولم أر له حديثاً منكراً، وقال العجلي جائز الحديث.. أما جرحه فقد قال الدارقطني: ليس بالقوي. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم أما ابن معين فقال مرة: ضعيف وقال مرة: لا شيء.. وهو يعني بهذه من ليس له من الحديث إلا القليل، وهذا الجرح لا ينهض أمام ذلك التوثيق المعتبر - التهذيب ٤-٣٩١.

تزوّج ذلك الشاب، ولما دعا داعي الجهاد ودّع زوجته وأخواته، ولحق برسول الله ﷺ نحو أرض نجد، فهو لن يتخلّف عن أي غزوة يغزوها رسول الله ﷺ بعد اليوم، فوالده رحمه الله ورضي عنه قد توفي، وهو السبب الوحيد في منعه من حضور غزوتي: بدر وأُحُد.. إنه جابر بن عبد الله وهو الآن في مكان يقال له:

ذات الرقاع

مع رسول الله ﷺ حيث تقف أمامهم حشود بني محارب وغطفان، ويبدو من المشهد أن حرباً لم تقع بين الطرفين، لكن الوضع متوتّر للغاية، والأعصاب مشدودة.. خاصة أعصاب المشركين. أمّا المؤمنون، فبعضهم كان في حالة حراسة، والبعض في حالة استرخاء أو نعاس، أما نبيّ الله ﷺ فقد علق سيفه بشجرة ثم نام.

يقول جابر: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنّا بذات الرقاع، وكنّا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ)[1] (فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرّق الناس في العضاة يستظلّون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه. «ثم نام».

قال جابر: فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئنا، فإذا عنده أعرابي جالس)[2] من بني محارب!

ماذا يفعل هذا الأعرابي، هل جاء ليعلن إسلامه، أم جاء ليفاوض؟ ما قصته، ولماذا يمسك بسيف رسول الله ﷺ..؟!

أعرابي يحاول قتل النبي ﷺ بسيفه

يقول جابر: (قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل، «فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، فنزل النبي ﷺ تحت شجرة، فعلق بها سيفه ثم نام»، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له:

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٣٦) ومسلم (٨٤٣)، واللفظ له.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٣٥) والزوائد عنده (٢٩١٣).

(غورث بن الحارث) «فاستيقظ ﷺ وعنده رجل لا يشعر به» حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟

قال ﷺ: الله عزّ وجلّ.

فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ.

قال ﷺ: أتشهد أن لا إله إلاّ الله، قال: لا. ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله، فذهب إلى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس)[1].

إذاً فقد (خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلّى النبي ﷺ ركعتي الخوف)[2]، فما هي:

صلاة الخوف؟

يقول جابر رضي الله عنه: (نودي بالصلاة، فصلّى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتين)[3].

أَمَّهم ﷺ جميعاً ولم يقصر، لكنه صلّى بهم مرة أخرى في هذه الغزوة وقصر معهم.

صفة ثانية لصلاة الخوف

يقول أحد الصحابة (صلّى مع رسول الله ﷺ في يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: إن طائفة صفت صلت معه، وطائفة وجاه العدو، فصلّى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-٣٦٥ والبيهقي ٣-٣٧٦ من طريق: عفان، وعاصم بن علي، وأبو بكر الإسماعيلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر. سليمان تابعي ثقة، وتلميذه أبو بشر اسمه جعفر بن إياس تابعي ثقة، التهذيب ٤-٢١٤ وأبو عوانة ثقة ثبت اسمه: الوضاح بن عبد الله اليشكري. وزوائد الحديث عند البخاري (٢٩١٣).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق وعلقه البخاري فقال: قال ابن إسحاق سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً (٤١٢٦). وهب ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٥٨٥.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم عن جابر (٨٤٣).

وأتمّوا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلّى بهم الركعة التي بقيت، ثم ثبت جالساً وأتمّوا لأنفسهم، ثم سلّم بهم)[1].

فصلّى النبي ﷺ ركعتين، وصلّت كل طائفة ركعتين أيضاً.

كانت غزوة ذات الرقاع حافلةً بالمشاعر لا بالدماء.. حافلةً بالمعجزات والكرامات.. لم يكن فيها قتال، لكن ذلك المكان المسمى بـ: «ذات الرقاع» كان ساحة للخوف والتوتّر.. أخاف الناس بعضهم بعضاً، ثم تفرّقوا دون دماء[2].. أخاف النبي أعداءه وكسب ثناء بعضهم، وحقّق ﷺ بجيشه نصراً معنوياً له رصيده في النفوس، ثم عادوا إلى المدينة والشوق يحملهم، وكان أشدّهم شوقاً ذلك الشاب «جابر» الذي رقص قلبه طرباً عندما اقترب الجيش من المدينة، لكن شيئاً كان يعيقه عنها.. يعيقه حتى عن أصحابه، حتى كان آخر من يسير في الجيش. لقد كانت في طريق العودة قصة لـ:

جابر وجمله الهزيل

فبينما كان جابر بأحرّ الشوق إلى عروسه.. كان ذلك الجمل لا يبالي بتلك المشاعر.. يبدو أنه كان يستمتع بالراحة ومشاهدة ما حوله من مناظر، فهو يسير بطريقة مملّة ومزعجة. شاهد ﷺ ما يحدث فتحرك قلبه نحو جابر، فكانت هذه القصة المنسوجة بالمشاعر والأشواق والمعجزات:

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم «صلاة الخوف» (٨٤٣).

(١) أقول ذلك لأنه قد روي بسند ضعيف عند الأئمة: من طريق ابن إسحاق حدثنا عمي صدقة عن عقيل عن جابر، أحمد (٣/٣٤٤-٣٥٩) وأبي داود (١٩٨) والبيهقي (٣/٣٧٩) وابن خزيمة (٣٦) وحسنه شيخنا الفاضل محمد مصطفى الأعظمي حفظه الله ووافقه الإمام الألباني. وحسنه كذلك في صحيح سنن أبي داود: إن امرأة أصيبت من المشركين.. ثم ذكر قصة الصحابيين اللذين أصيب أحدهما بثلاثة أسهم بينما كان الآخر نائماً.. وهذه القصة ضعيفة السند رغم ما سبق لأنها من طريق عقيل بن جابر.. وهو لم يوثق إنما ذكره ابن حبان في ثقاته وسكت وهذا ليس بتوثيق ولذلك قال الحافظ في التقريب (٢/٢٩) إنه «مقبول» أي عند المتابعة.. ولم أجد له متابعاً.. ومما يوحي بضعفه عند الإمام البخاري رحمه الله أنه قال في الفتح - كتاب الوضوء - ٣٤ - : ويذكر عن جابر.. وعلق الحافظ بقوله: عقيل بفتح العين، لا أعرف راوياً عنه غير صدقة، ولهذا لم يجزم به المنصف، أو لكونه اختصره، أو للخلاف في ابن إسحاق. والذي يبدو لي أن السبب الأول هو الصحيح لأن البخاري ذكر ابن إسحاق وسنده الصحيح في غزوة ذات الرقاع بصيغة الجزم فقال: قال ابن إسحاق. والسبب الثاني بعيد. فبقي السبب الأول نظراً لجهالة حال عقيل رحمه الله.

Obeikandl.com

يقول جابر رضي الله عنه: (خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلّف «على بعير قطوف»[1] «جمل ثفال إنما هو في آخر القوم»[2] «قد أعيى فلا يكاد يسير»[3] حتى أدركني النبي ﷺ، «فمرّ بي النبي ﷺ فقال: من هذا؟ قلت: جابر»[4] فقال: ما لك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال ﷺ: أنخه.

فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ «قال ﷺ: أمعك قضيب؟ قلت: نعم، قال: أعطنيه»[5] أعطني هذه العصا التي في يدك، فأعطيته إياها أو قطعت له عصية من شجرة، فأعطيته إياها، فنخسه بها نخسات، «فدعا له»[6]، ثم قال: اركب يا جابر.

فركبت «فسار سيراً ليس يسير مثله»[7]، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة، «فكان من ذلك المكان من أوّل القوم»[8]، فتحدث مع رسول الله ﷺ فقال: «كيف ترى بعيرك»[9]، أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قلت: بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعنيه. قلت: فسُمْنيه. قال ﷺ: قد أخذته بدرهم. قلت: لا، إذاً تغبنني يا رسول الله. قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية. قال ﷺ: «بعنيه بأوقية. قلت: لا، ثم قال: بعنيه بأوقية. فبعته، فاستثنيت حملانه إلى أهلي»[10]، فقال ﷺ: «ولك ظهره إلى المدينة»[11]. فقلت: أفقد رضيت؟. قال ﷺ: نعم. قلت: فهو لك. قال ﷺ: قد أخذته. «فانطلق بعيري كأجود ما أنت راءٍ من الإبل»[12]، «فلحقني راكب من خلفي فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ، قال: ما يعجلك؟ قلت: إني حديث

---

(١) البخاري (٥٢٤٥). والقطوف هو البطئ.
(٢) البخاري (٢٣٠٩). الثفال هو الثقيل.
(٣) البخاري (٢٩٦٧). يعني أنه يعاني من الهزال والتعب.
(٤) البخاري (٢٣٠٩).
(٥) البخاري (٥٢٤٥).
(٦) البخاري (٢٧١٨).
(٧) البخاري (٢٧١٨).
(٨) البخاري (٢٣٠٩).
(٩) البخاري (٢٣٨٥).
(١٠) البخاري (٢٧١٨). أي اشترط جابر أن يسلمه في المدينة.
(١١) البخاري (٢٧١٨).
(١٢) البخاري (٥٠٧٩).

عهد بعرس»[1] «فقال لي رسول الله ﷺ: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم. فقال: بكراً أم ثيباً؟ قلت: بل ثيباً. قال: فهلاّ جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»[2] «ما لك وللعذارى ولعابها»[3]؟

«قلت: يا رسول الله، إن أبي قتل يوم أُحد وترك تسع بنات، كنّ لي تسع أخوات، فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن»[4]، «فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن»[5] «تعلّمهن وتؤدّبهن»[6]، «امرأة تمشطهن وتقوم عليهن.

قال ﷺ: أصبت»[7] إن شاء الله «بارك الله عليك»[8]، «بارك الله لك»[9]، قال ﷺ: أما إنا لو جئنا صراراً[10] أمرنا بجزور، فنحرت، فأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها. فقلت: والله يا رسول الله ما لنا نمارق. قال ﷺ: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيسّاً «الكيس الكيس»[11].

فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور «أو بقرة فذبحت فأكلوا منها»[12] وأقمنا عليها ذلك اليوم، «فلما ذهبنا لندخل قال ﷺ: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً - أي عشاءً - لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة»[13]. فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا، فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك، فسمع وطاعة)[14].

---

(١) البخاري (٥٠٧٩).
(٢) البخاري (٥٣٦٧).
(٣) البخاري (٥٠٨٠).
(٤) البخاري (٤٠٥٢).
(٥) البخاري (٥٠٨٠).
(٦) البخاري (٢٤٠٦).
(٧) البخاري (٤٠٥٢).
(٨) البخاري (٦٣٨٧).
(٩) البخاري (٥٠٨٠).
(١٠) مكان قريب من المدينة.
(١١) البخاري (٢٠٩٧) (٥٢٤٥).
(١٢) البخاري (٣٠٨٩).
(١٣) البخاري (٥٠٧٩).
(١٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان عن جابر.. ووهب تابعي ثقة من رجال الشيخين - التقريب (٥٨٥).

openkandil.com

تأثرت تلك المرأة الصالحة بذوق رسول الله ﷺ الرفيع، وأسلوبه الرائع في منح الأنوثة وهجها وعطرها الذي لا يقاوم، حتى ينهار ذلك الحبيب القادم أمام هذا السحر الحلال، ويستسلم ذلك المحارب مهزوماً بالحب الطاهر، وهو الذي لا يستسلم إذا هاجت الحرب والحراب.

لم يكن ﷺ وحده في رقي الذوق وجمال الأسلوب.. زوجاته رضي الله عنهن كن كذلك.. كن نسيجاً من الرقّة والإحساس.

ذات يوم (دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ، فرأينها سيّئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بعلك. قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فدخل النبي ﷺ، فذكرن ذلك له، فلقيه، فقال: يا عثمان بن مظعون، أما لك بي أسوة؟ فقال: يا بأبي وأمي، وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل. قال ﷺ: لا تفعل، إن لعينيك عليك حقاً، وإن لجسدك حقاً، وإن لأهلك حقاً، فصلّ ونم، وصم وأفطر «يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فيّ أسوة؟ أما والله إن أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده لأنا».

فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس. فقلن: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس)[1] من ودٍّ ووصال في أجواء يمطر الإسلام فيها حباً وقلوباً، فما بين

المرأة والرجل

أكثر من الجسد.. إنها أشياء حميمة تجعل للدنيا مذاقاً أجمل.. المرأة بالنسبة للرجل -إذا تحضّر بالإسلام- عبق لا ينقطع.. ربيع في كل الفصول.. مطر صيفي.

هل هناك أرقّ من قوله ﷺ لحادي العيس ذي الصوت الجميل: (رويدك بالقوارير)[2]؟

---

(١) رجال ثقات لكنه مرسل، رواه ابن سعد (٣/٣٩٤) أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا إسرائيل وأخبرنا الحسن ابن موسى، أخبرنا زهير، أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي بردة.. وهذا مرسل إلا إن كان أبو بردة هو الصحابي - وللحديث شاهد بسند صحيح رواه عبد الرزاق (٦/١٦٧) عن معمر عن الزهري عن عروة وعمرة عن عائشة.. وما بين الأقواس الصغيرة هو ما جاء فيه من حديث النبي ﷺ..

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٦١٦١).